

## "التحولات الراهنة في العالم العربي وآثارها على المجتمع الفلسطيني"

مهند مصطفى وعرين هوارى

يتناول المحور الرئيسي في العدد الحالي من مجلّة "جدل" مسألة الفلسطينيين والثورات العربيّة، وعلى نحو خاصّ الفلسطينيين في إسرائيل. ويُعتبر هذا الموضوع على درجة عالية من الأهميّة، نظرًا للتأثير المباشر وغير المباشر للأحداث في العالم العربيّ التي أعقبت اندلاع الثورات على الفلسطينيين عمومًا، وعلى الفلسطينيين في إسرائيل خصوصًا. وعلى الرغم من أنّ هذه الأحداث أثّرت على الحقل السياسي والاجتماعي والثقافي للفلسطينيين، لا تزال القراءات في هذا المضمار قليلة. يمكن القول إنّ الأحداث في العالم العربيّ في السنوات الأخيرة كانت من أهمّ الأحداث الإقليمية التي انعكست على الفلسطينيين؛ إذ لم يكن ثمة من قبل اهتمام وتداخل وتعاطٍ فلسطيني مع أحداث وقعت في العالم العربيّ على نحو ما حدث مع الثورات العربيّة. يواجه الفلسطينيون في إسرائيل، في العقد الأخير، مجموعة من التحديات السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة، إلى جانب التحديات الراهنة المستجدة ذات البعد الإستراتيجي والتي تُضاف إلى التحديات الثابتة النابعة من اعتبار الفلسطينيين في إسرائيل جزءًا من القضية الفلسطينيّة، وذلك أنّ السنوات الأخيرة -وعلى وجه التحديد تلك التي أعقبت انتكاسة الثورات العربيّة التي انطلقت ضدّ الاستبداد- حملت معها مأزقًا داخليًا يتمثّل في تدني مستوى الحصانة المجتمعيّة، وتراجع القدرة على إدارة صراع طويل الأمد ومتعدّد الجبهات مع الحكومة الإسرائيليّة، وذلك بفعل عوامل مجتمعيّة داخلية، نحو: تنامي النزعات والهويّات الطائفيّة والجهويّة؛ ترسُّخ الانغلاق والتعصّب الفكريّ والطائفيّ؛ استشراء العنف...

وفي خلفيّة كلّ ذلك، فإنّ أثر الأحداث في العالم العربيّ والتباين السياسيّ والأيدولوجيّ حولها عزّز تَشَطُّبَ المجتمع الفلسطينيّ، وكشف عن هشاشة مقولات حلّقت طويلًا في فضاء فكره السياسيّ، نحو: حرّيّة التعبير؛ الانحياز إلى حقوق الشعوب في الحرّيّة والعدالة الاجتماعيّة؛ التوق إلى الديمقراطية؛ التسامح والمسامحة؛ تحمّل النقد. وقد حملت الأحداث الدائرة في العالم العربيّ تأثيرات قصيرة المدى وبعيدة المدى على المجتمع والسياسة الفلسطينيّين داخل الخطّ الأخضر. ويمكن القول إنّ الأحداث الدائرة في المحيط العربيّ كانت الأكثر تأثيرًا على الفلسطينيين في إسرائيل منذ اتّفاق أوسلو، وبلغ تأثير هذه الأحداث مستويات شتّى، منها الثقافيّ والسياسيّ والأيدولوجيّ والاجتماعيّ، وطرحت بقوة أسئلة الديمقراطية، والدين، والمجتمع، والمجال العموميّ العربيّ، والعلاقة مع الدولة، والهويّة الجماعيّة، وهو ما يجعل من نقاش هذا التأثير حاجة ملحة أكاديميًّا وسياسيًّا، إذ لم تُطرح مسألة تأثير الثورات العربيّة على المجتمع الفلسطينيّ على نحو معمّق.

يضمّ العدد الحاليّ من "جدل" أربعة مقالات في محور العدد، ومقالين خارج المحور، إضافة إلى تقرير حول حلقة دراسيّة نظّمها المركز حول القائمة المشتركة.

يناقش الدكتور مهند مصطفى، في مقاله "الثورات العربيّة ودولة الفلسطينيين المتخيّلة الجديدة"، تأثير الثورات العربيّة على الفلسطينيين، حيث يشير في مقاله إلى "حضور المجال (الحيز) العموميّ في المجتمع العربيّ، كـمجال للنقاش والسجال والصراع، حول هويّته وماهيّته وحدوده والحرّيّات فيه، وحول من يملك الشرعيّة لبّوّته أو الإسهام في تشكيله"، معتبرًا أنّ مركزيّة المجال العموميّ في السنوات الأخيرة حوّلت إلى دولة جديدة متخيّلة.

وأما الدكتور أباهر السقا، فيتناول في مقاله تأثير الثورات العربية على القضية الفلسطينية وعلى تمثّلات بعض الفلسطينيين حولها، مشيراً ضمن ذلك إلى تراجع الاهتمام بالقضايا العربية، وعلى رأسها القضية الفلسطينية، وكذلك إلى تداخل الأزمة التي يعيشها المجتمع الفلسطيني مع أزمات المجتمعات العربية وتأثيرها بوقوع هذه المجتمعات تحت سيطرة الخطابات الرسمية العربية الداعية إلى الانسحاب من الصراع، والتساوق مع استيهامات الرسمي الفلسطيني بأنه يدير "دولة".

وفي المقال الثالث، يقوم د. مسلم محاميد بالإجابة عن السؤال: لماذا برز التناقض والمفارقة في الموقف من الثورات العربية وبخاصة حيال الثورة السورية، وعلى نحوٍ خاص من قبل الفلسطينيين؟ يتطرق خلال ذلك إلى الموقف من الربيع العربي عموماً، ثم إلى عسكرة الثورة السورية، ليتناول بعدها موقف الشعب الفلسطيني المتناقض من الثورة السورية، مبرزاً ما أسماه حقيقة وجود أهداف غربية تبعت الثورات العربية.

وفي المقال الأخير، ضمن محور العدد، يدعي د. يسري خيزران أن تاريخ الدولة الإسلامية الطويل لم يشهد اضطهاداً أو ملاحقة للأقليات الدينية أو المذهبية في العالم الإسلامي، إلا أن حالة الانهيار والفوضى التي نجمت عن اندلاع الثورات الشعبية، وانحسار سلطة الدول بعد عقود من الطغيان والكبت والإقصاء، وتآكل الذاكرة الجماعية لدى هذه الجماعات، مع المدّ السريع لحركات ذات خطاب التكفير والوعيد، كل هذا خلق انطباعاً بوجود حالة أقلوية خاصة بالمشرك العربي.

وفي المقالات التي خارج محور العدد، تشارك د. سونيا بولس بمقال تناقش من خلاله زيارة القائمة المشتركة لمقرّ الاتحاد الأوروبي والتقاءها مع سياسيين أوروبيين، مدّعية أن القائمة المشتركة أضاعت فرصة ذهبية لطرح قضية الفلسطينيين في الداخل، باعتبارها قضية حق تقرير مصير لشعب أصليّ تحوّل إلى أقلية في وطنه، بدلاً من الاستناد إلى خطاب حقوقي مبتور على حدّ قولها. وتضيف أنه على الرغم من الأهمية العملية أو الأدائية لاستخدام خطاب حقوق الأقلية الذي يعنى بحريّات وحقوق الفرد المنتمي إلى أقلية، فإنّ وفد المشتركة قام بتروجه بمعزل عن السياق التاريخي الذي حوّل جزءاً من الشعب الفلسطيني إلى أقلية في وطنه.

وفي المقال الأخير، تحاول سوسن خليفة تحليل مفاهيم سياسية ودينية لمكانة القدس لدى إسرائيل، متناولة أهمية تصريح ترامب على الخريطة السياسية. كذلك تتطرق من خلال المقال إلى التغيّر الذي قد يجري في القدس نتيجة لسياسات تهجير أهلها. علاوة على هذا، يطرح المقال المحاولات المستقبلية التي قد تقوم بها إسرائيل لاستغلال مقدّسات القدس ومكانتها الدينية ابتغاء تنفيذ سياساتها التطبيعية مع الدول العربية.

يشمل العدد كذلك تقريراً يراجع مجمل نقاشات حلقة التفكر التي نظّمها "مدى الكرمل" بعنوان: "القائمة المشتركة، واقعها الحاليّ وأفاقها المستقبلية"، في الخامس عشر من أيلول عام 2017. وقد عقد مدى الكرمل هذه الحلقة على أثر ما اصطلح على تسميته إعلامياً "أزمة التناوب".